

## التخييل البيئي في رواية (طوق الحمام) لرجاء عالم

## Eco-fiction in Raja'a Alem's Novel The Dove's Necklace (Tawq Al Hamam)

د. ميساء الخواجا\*

جامعة الملك سعود، الرياض/السعودية

mais112@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/05/23 تاريخ القبول: 2021/06/19 تاريخ النشر: 2021/08/31

## ملخص البحث:

ظلت العلاقة بين الأدب والبيئة مثار تساؤل فيما عرف بـ "النقد البيئي" لا سيما بعد توجه عدد من النقاد لقراءة أعمال أدبية يتمثل فيها الإحساس بالدور المدمر الذي يقوم به الإنسان تجاه الطبيعة. من هنا يحاول هذا البحث طرح هذه العلاقة من خلال رواية "طوق الحمام" لرجاء عالم، معتمدا على النقد البيئي النسوي. ويفترض أن في هذه الرواية وعيا بيئيا يربط بين تدمير البيئة والمكان (مكة المكرمة) من جهة، وتدمير المرأة واستغلالها من جهة أخرى. وبذلك تعيد هذه الرواية صياغة العلاقة بين البشري وغير البشري من خلال اختيارات فنية نحو اختيار الراوي ووجهات النظر، وأخرى موضوعاتية من خلال عدد من الثنائيات نحو ثنائية الإنسان/ الحيوان، والمرأة/ الطبيعة لتبرز في النهاية وحدة الكون الكبرى.

**الكلمات المفتاحية:** بيئي، نسوي، بشري، غير

بشري، طبيعة، تكامل.

## Abstract:

The relationship between literature and the environment remains an essential issue glossed as "eco-criticism". Several critics launched a new era investing new trends in literary masterpieces in which environmental awareness is exemplified. From this perspective, this research tries to question this relation through Raja'a Alem's novel The Dove's Necklace with reference to feminist eco-criticism. It is assumed that there is an environmental awareness in this novel that connects the destruction of the environment and place (Mecca) on the one hand, and the destruction and exploitation of Woman on the other hand. For this reason, the novel reformulates the relationship between the human and the non-human through artistic choices with reference to the narrator preferences and attitude. Besides, it shapes the themes through a number of dualities, the Human/animal and the woman/nature duality to substantially reveal a universe unity.

**Keywords:** Environmental, feminine, human, non-human, nature, complementarity

يتعامل مع العلاقات بين الكائنات الحية وبيئتها المحيطة، أي أنه يهتم بالكائنات الحية في بيئتها الطبيعية. ورغم أن هذا التعريف لا يبدو ذا توجه إنساني إلا أن فلسفة علم البيئة نتجت عن السعي إلى تعزيز الحياة بوصفها حياة مركزية، وتشدد على حقيقة أن الإنسان هو مجرد جزء واضح في شبكة حياة ضخمة ومعقدة في الطبيعة التي لكل شيء فيها قيمة مؤكدة. وقد اعتبر الأدب، من ضمن مجموعة أشياء، وسيلة وعي وإدراك لأهمية البيئة المادية المحيطة وحمايتها. لقد اقتصر التمثيل الرمزي التقليدي للبيئة في الأدب في كونها مجرد خلفية دون الاهتمام بأزمة الطبيعة، لكن النمو الصناعي أرغم الأكاديميين على إبراز علاقة الإنسان مع البيئة المادية.<sup>2</sup> وهو ما ظهر عند مجموعة من النقاد تحت مسمى النقد البيئي.

### مفهوم النقد البيئي:

النقد البيئي (*Ecocriticism*) مفهوم جديد في الدراسات الإنسانية وعلوم البيئة، يعنى بدراسة المكان والطبيعة والأرض والبيئة في النصوص والخطابات الإبداعية والثقافية، أي العلاقة بين الإنسان والبيئة الطبيعية، وكيف ضعفت تبعاً للنمو الصناعي أو التقني، وكيف يتم تمثيل ذلك في الأدب والثقافة، ومن ثم يحاول دراسة النصوص في ضوء نظرية بيئية تبحث عن مكانة الطبيعة أو البيئة أو الأرض بغية رصد رؤى الكتاب تجاهها، وتفاعلهم معها. ويعرف بأسماء أخرى نحو: الدراسات الثقافية الخضراء (*Green Cultural Studies*) و"الشعرية أو البويطيقا البيئية" (*Ecopoetics*) والنقد البيئي الأدبي (*Criticism Environmental Literary*).<sup>3</sup> وقد تصاعد هذا الاتجاه ونما في ظل تزايد الوعي بضرورة استعادة ازدهار الأرض الذي فقد جراء اعتداء الإنسان المستمر على الطبيعة، حيث يتشارك

لقد شهد الإنسان في القرن العشرين طفرات علمية كبيرة وحركات تحديث متسارعة أدى بعضها إلى تغيير في ملامح البيئة الطبيعية. وقد ظهرت حركات عالمية متنوعة تنادي بإعادة الاعتبار للأرض ومحاولة إنقاذها مما تتعرض له من تدمير على يد البشر ومؤسساتهم الصناعية الضخمة وعملهم المستمر على استنزاف موارد البيئة الطبيعية وتغيير بنيتها السطحية وبنيتها العميقة في الوقت نفسه. وظهرت مبادرات من مؤسسات تنتمي إلى حقول علمية وثقافية مختلفة تدعو إلى إعادة النظر في واقع البيئة الطبيعية بما في ذلك الدراسات الأدبية والنقدية. وكان من هؤلاء حركة في النقد الأدبي في أمريكا تحاول الربط بين الدراسة الأدبية من جهة وعلوم البيئة والطبيعة من جهة أخرى. لعبت البيئة، في تلك المبادرات، دوراً غير مباشر عند من عرفوا بالنقاد البيئيين الذين رأوا أن البيئة تظل أكثر استقراراً وتناغماً وتجانساً مالم يتم تدميرها من قبل الإنسان. وقد أعاد اهتمام هؤلاء النقاد بالربط بين الدراسات الأدبية والبيئية التساؤل القديم عن العلاقة بين العلوم الطبيعية والدراسات الأدبية ومدى نجاحها ووجود تناغم بينها؛ إذ رأوا أن العلاقة بين هذين الحقلين يمكن أن تنجح في مناطق معينة، فالحوار بين العلوم الطبيعية وحكي القصص واضح في تقديم قضايا نحو التلوث الإشعاعي الكيميائي والتساقط الإشعاعي<sup>1</sup>.

يطرح ما سبق تساؤلات أخرى نحو: ما هي حقيقة البيئة؟ وإلى أي مدى يمكن أن تعين تلك الحقيقة في الأدب؟ وعن الصلة بين علم البيئة والأدب، وهل يمكن أن يتداخل أحدهما مع الآخر أو يفيد منه؟ كيف ستكون طبيعة التمثيل؟ في هذا الإطار، يُعرف "علم البيئة" بأنه فرع من علم الأحياء

بين التشكيل الجمالي في العمل وبين الثيمات التي يمكن أن تبرز في عمل ما ، الأمر الذي يعني أن التفاعل بين الشخصيات والأنواع والأنظمة البيئية في النصوص الأدبية عادة ما يتطلب مقارنة ما بين التخصصات للوصول إلى تحليل عميق . إنه لا يعني ببساطة دراسة الطبيعة ، بل الصلة بين الإنساني وغير الإنساني . وهو ليس الحديث عن الأرض والطيور والنبات بل عن العلاقة معهم ، فالإنسان يمكنه أن يتحدث عن نفسه في صلتها مع الطبيعة<sup>6</sup> . يكاد يتفق الدارسون على أن مفهوم النقد

البيئي يرجع إلى مقال كتبه ويليام روكيرت (*William Rueckert*) عام 1978 بعنوان " الأدب وعلم البيئة - تجربة في النقد البيئي " وبدأ هذا المصطلح في الانتشار لاحقاً وتعددت دراساته ، لكن هذا النقد أصبح حركة مستقلة واتجاهاً في النقد الأدبي في التسعينيات من القرن العشرين ، حيث كان مركز تجمع النقاد الأمريكيين الذين يتعاملون مع الأدب الأمريكي حصراً ، وأسسوا جمعية لهم باسم " جمعية دراسة الأدب والبيئة " (*ASLE*) وعقدت مجموعة من المؤتمرات التي استقطبت عدداً من النقاد وساهمت في انتشار هذا النقد وتطبيقاته في مناطق متعددة من العالم<sup>7</sup> . ومن نقاد البيئة الأكثر شهرة الذين أسسوا لمفاهيمه وتطبيقاته لورانس بول (*Lawrence Bull*) ، فقد ذكرت دانا فيليبس (*Dana Phillips*) أن عمله يمكن أن يشكل أرضية لما ينبغي أن يكون عليه الوعي البيئي في قراءة النصوص الأدبية لا سيما في عمله " مخيلة البيئة " ، وترى أنه يمكن أن يحل بعض الإشكالات النظرية ، وهو ما يمكن أن يحدث فقط إذا تمت مقارنة النظرية الأدبية دون مقدمات الشك المنطقية تجاهها ، لأنه يعطي اعتباراً للنظرية ويجادل في أن هناك حاجة لإعادة تقييم بعض المقدمات التحليلية

معظم نقاد هذا الاتجاه دافعاً مشتركاً هو الوعي المقلق بأننا في عصر دمرت فيه أفعال الإنسان البيئة وأنا نرى نتائج ذلك ، وهذا ما يضع دوراً على عاتق الأدب ودارسي الإنسانيات والتاريخ لكشف ذلك وتمثيله. من ثم ينطلق النقاد من أسئلة نحو: كيف يتم تمثيل البيئة في هذه " السونيت "؟ هل تتماشى القيم الممثلة في المسرحية مع حكمة الطبيعة؟ كيف تؤثر استعارات الأرض على طريقة تعاملنا معها؟ كيف يمكن أن نشخص كتابة الطبيعة باعتبارها جنساً؟ بالإضافة إلى العرق والطبقة والجنس هل يمكن أن يكون المكان صنفاً نقدياً جدياً؟ هل يكتب الرجال عن البيئة بطريقة مختلفة عن ما تكتبه النساء؟ وإلى أي حد أثر الأدب على علاقة الإنسان بالعالم الطبيعي؟<sup>4</sup> وغير ذلك من الأسئلة التي فتحت الباب لدراسات بينية تربط بين النقد الأدبي وعلم البيئة والأحياء ، وتحاول أن تعزز وعي الإنسان بالبيئة وأن هناك قوى خارج الأدب يمكن أن تؤثر فيه وفي تشكيله.

ينطلق النقد البيئي من الاقتناع بأن فنون الخيال ودراساتها، بحكم فهمها لقوة الكلمة والقصة والصورة في تعزيز الاهتمام البيئي وإحيائه وتوجيهه، يمكن أن تسهم بشكل كبير في فهم المشاكل البيئية، والأشكال المتعددة للتفكك البيئي الذي يصيب كوكب الأرض اليوم. ومن ثم تطرقت الدراسات المتعلقة بالأدب البيئي إلى مسائل ذات طابع جمالي على امتداد مراحل تطورها، كما أسهمت في فهم عدد من الأنواع نحو: الكتابة البيئية الواقعية أو كتابة الطبيعة، وفي الشكل والطريقة الشعرية، وفي الدراما والمسرح والسرد العلمي وغيرها<sup>5</sup> . ويتضح من ذلك أن هذا النقد يسعى إلى دراسة تمثيلات البيئة في النصوص الأدبية ، وكيف يعمل الخيال على تشكيلها أو على تحفيز الوعي بها ، وبذلك يجمع النقد البيئي

التراتبية هي ما يحكم العلاقات الأساسية في المجتمع ، وهي التي تحدد عددا من السمات التي توصف بها المرأة بحيث تغدو التصنيفات ثقافية في جوهرها وليست بيولوجية . وتجادل النسويات في أن المرأة قد فقدت كثيرا من المزايا التي كانت تتمتع بها سابقا ، وذلك بفعل التطور الحضاري والانتقال من المجتمع الرعوي إلى الزراعي ثم الصناعي .

وفيما يخص النقد البيئي ترى بعض النسويات أن البيئة غالبا ما شُبهت بالمرأة ، وكما فقدت المرأة مزاياها فقدت البيئة أيضا كثيرا من مظاهرها وتم تشويهها وتدميرها . ومن هنا فإن الترابط بين النسوية والبيئة يكمن في البنيات المفهومية للهيمنة غير المبررة ، وقد تتحدد بالثنائية القيمة المؤدية ، والتراتبات القيمة على أساس النوع ووجود أزواج مفرقة يستبعد أحدها الآخر ، واستعارات مكانية على نمط أعلى - أدنى (ترانبيات قيمة) تعطي منزلة أو قيمة أكبر لأحد الطرفين على حساب الآخر ، على نحو : الثقافة/ الطبيعة، الإنسان/ الطبيعة، العقل/ العاطفة، الرجل/ المرأة ، الذكر/ الأنثى. ويبرر منطق الهيمنة الإخضاع لمن يقع في المرتبة الأدنى . وهذه الأطر البطريركية وما انبثق عنها من سلوكيات هي المسؤولة عن إدامة الترابطات بين النساء كآخر ، والطبيعة كآخر ، ومن ثم استغلال النساء والطبيعة وعدم احترامهما ، وجعل عملهما وإنتاجهما غير مرئيين.<sup>10</sup> من هنا تتضمن الخصائص الأساسية للنقد النسوي البيئي في النصوص العربية بذل جهد لإضاءة العلاقة بين البشر عبر الاختلافات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية ، وبين الإنسان والطبيعة ، واكتشاف الطرق التي تشكل فيها تلك العلاقات علاقتنا مع الطبيعة ، وكيف تتأثر بها المرأة أو تؤثر عليها وعلى تصورهما ومكانتهما في المجتمع ، مع التأكيد على ضرورة الإسراع بنقد أشكال الإقصاء

المستعملة من قبل قراء الأدب المدبرين ، وأن الحاجة إلى المخيلة البيئية ترغمننا على مساءلة مقدمات النظرية الأدبية عند استخدام مصادرها لعرض حدود إعادة التمثلات الأدبية.<sup>8</sup>

إن النقد البيئي ليس نظرية بالمعنى الصحيح ، فعمله يمكن أن يجذب عددا من الاتجاهات والنظريات مثل النسوية والماركسية وما بعد البنوية والتحليل النفسي والتاريخي ، وهذا يطرح إشكالية تصاحب هذا النقد عند من لم يقبلوا به ، إذ إنهم يرون أن تحليل النصوص يمكن أن يسير بشكل عشوائي وبوسائل ومفاهيم ضبابية زخرفت من مصطلحات مستعارة ، نحو: " العضوية " ، " البرية " ، " النظام البيئي " فهي كلمات يمكن أن تستعمل بشكل مجازي دون الإقرار بحالتها الاستعارية ، وكأن طرق الكلام البيئية والأدبية أكثر توافقا مما هي عليه في الحقيقة ، وكأنه يمكن تجاوز الفروق فيما بينها بسهولة.<sup>9</sup> تطرح الاعتراضات السابقة إشكاليات جوهرية تخص هذا النقد سواء تعلق بصعوبة الجمع بين قضايا الأدب والبيئة أو بصعوبة توظيف مصطلحات أحد الحقلين في مجال الحقل الآخر. كما ترتبط أيضا بغياب منهجية محددة يمكن أن يستند إليها نقاد النقد البيئي ، ومن ثم يمكن أن نجد مداخل عدة له ينبغي التأكد منها والإحالة إليها قبل بدء الدراسة.

### النقد البيئي النسوي:

كثيرا ما يجادل النقد النسوي في عدد من القضايا التي يمكن اعتبارها مركزا أساسيا فيه ، ومن ذلك إعادة النظر في علاقات الهيمنة في المجتمعات والثقافات المختلفة على اعتبار أن القيم الذكورية هي ما يهيمن على عدد من المجتمعات ، حيث يتم النظر إلى النساء باعتبارهن " آخر" أدنى وأقل منزلة من الرجل . وتجادل النسويات في أن تلك

## 1- وحدة الكون (تماهي الكائنات)

ينتقل الاهتمام النقدي في النقد البيئي - كما يرى بعض دارسيه - من الوعي الباطني إلى الخارجي ، ويرفض الاعتقاد القائل إن كل شيء مبني اجتماعيا أو لغويا ، ويعتقد بأن الطبيعة توجد حقيقة فيما وراء ذاتنا ، لكنها فينا وتؤثر علينا وربما بشكل قاتل إن أسأنا التعامل معها.<sup>12</sup> وقد يصلح هذا المفهوم مدخلا للنظر في رواية " طوق الحمام " التي يهيمن عليها نوع من الإيمان بوحدة الوجود ، وبالتماهي بين ما هو إنساني وغير إنساني . تتماهى شخصيات الرواية مع عناصر الطبيعة الحية والجمادة في وحدة كلية تطمس الحدود بين الإنساني وغير الإنساني . ويتبدى ذلك على مستويات الوصف واللغة واختيار السارد بحيث يبدو التفاعل بين الطبيعة والثقافة واللغة والواقع متشابكا جدا بحيث تتبادل فيه تلك العناصر التأثيرات فيما بينها ، كما تتبادل المواقع والرؤى والأدوار .

### 1/أ- اللغة الكونية:

تختار الساردة ما يمكن تسميته باللغة الكلية ( الكونية ) التي يتضح فيها هذا التماهي بين الكائنات ، إذ يبني السرد في مجمله على لغة تشترك في التعبير عن الإنسان والحيوان والجماد فتتماهى الكائنات سواء عبر اللغة الشعرية وتوظيف الصور والاستعارات ، أو عبر لغة الوصف التي تصف البشري بما هو غير بشري أو العكس . حليلة التي لا تعرف القراءة عندما شاهدت أوراق ابنها تبدت لها الكلمات كائنات حية ، وكأنها تعود إلى الفطرة الأولى حين توحدت الكائنات كلها في الطبيعة عند الإنسان البدائي الأول : " الصفحات التي تتدفق منها الكلمات وتغيب في الأفق كقافلة جمال محملة بأحطاب ، وتلك التي يترك وتترك بقعا ، أزعجتها تلك الكلمات التي تقفز كالقطط في موسم التزاوج ، تنتف أذنان

والتراتبية ، ونقض علاقات الهيمنة ، وكل أشكال الإقصاء .

يرجع مصطلح "النسوية البيئية" إلى النسوية الفرنسية فرانسواز دوبون ( *Françoise d'Eaubonne* ) في عام 1974 لتمثيل إمكانات المرأة للتحريض على ثورة بيئية تستتبع علاقات جديدة بين النساء والرجال، وبين الناس والطبيعة باسم بقاء الإنسان . وجادل النقد النسوي البيئي ، كما سبقت الإشارة ، بأن استغلال الطبيعة واستغلال المرأة مرتبطان بشكل وثيق ، فهناك تماثل في تفكير الرجال بحقهم في استغلال الطبيعة من جهة واستخدامهم النساء من جهة أخرى ، ومن ثم فإن النضال في معركة البقاء البيئي يرتبط بشكل جوهري مع النضال من أجل تحرير المرأة وغير ذلك من أشكال العدالة الاجتماعية، على اعتبار أن التنوع هو أساس الوجود . وقد ربطت بعض الأبحاث النسوية البيئية الحديثة بين المرأة والطبيعة بشكل صارم ، وبحثت بعض النسويات عن تجلي الجنس في مظاهر الطبيعة.<sup>11</sup> هكذا يمكن أن يتوسع النقد البيئي النسوي لبحث كل ما له صلة بأنواع التمييز أو الهيمنة ، وتحليل الصلات بين خداع النساء وغير البشري وكل ما في الطبيعة ، أو محاولة اكتشاف الاختلافات بين تصوير النساء والرجال للطبيعة بالإضافة إلى الكيفية التي يبرز فيها الخطاب الإبداعي العلاقة بين النساء والبيئة ، ويناقش أشكال الهيمنة والأشكال المختلفة من الظلم الاجتماعي . وسنركز هنا على الجانب الأخير الذي يقيم صلة بين تدمير البيئة من جهة والظلم الذي يتجلى على المرأة من جهة أخرى كما تجلى في رواية رجاء عالم " طوق الحمام " ، وذلك عبر محاور رئيسة : وحدة الكون ( تماهي الكائنات ) ، المرأة / الطبيعة ( الطبيعة الأنثى ) ، قتل البيئة وتدميرها .

ليصب طمها في هذه اللحمة الكونية/ بهذا المركز البركاني./ صارت الكرة الأرضية مألحة معدنية متمركزة على حوضه،/ كلما أراد النفاذ إلى مركزها،/ رده من جسده انهيار ( يا الله كيف اجتمعتا عليه: الرغبة وانهياراتها!!).<sup>14</sup>

يعيد النص صياغة علاقة البشري بغير البشري، ليطرح تساؤلات حول العلاقة بينهما ، وهل يمكن أن تتغير الرؤى بتغير الموقع؟ أين نحن من العناصر الأخرى وما علاقتنا بها؟ ولعل هذا السؤال هو ما يحدد بدءا اختيارات السرد ومن ذلك اختيار الراوي . تختار الساردة الحكى على لسان الزقاق المسى "أبو الرووس"، وتقدم الأحداث في الجزء الأول والأكبر من الرواية على لسانه ، فهو راو مشارك وشاهد يعرف أدق التفاصيل ويعرف ما لا تعرفه الشخصيات الأخرى ، يمسك بخيوط الحكى ولعبة الغموض التي ترتبط باكتشاف جثة امرأة مقتولة فيه. يحكى الزقاق "أبو الرووس" عن نفسه وعن ساكنيه، وتقوم الساردة بأسننته فهو يحمل اسما ، ويشارك في الأحداث ويبيدي وجهة نظره فيها ، وحين يحكى عن الأزقة الأخرى يسميها بأسمائها ، فهي كائنات حية لها ملامحها ، تحس وتشعر وتتنافس فيما بينها كما يتنافس البشر ويحسون ، ويحدد " أبو الرووس" موقعه منها ، يترفع عن بعضها حيناً، ويطرح الفرق بينه وبين بعضها الآخر أحيانا أخرى<sup>15</sup>. بل إن الزقاق يتماهى مع بعض شخصيات الرواية ويتفاعل معها كما يفعل عندما يتحدث عن المحقق " ناصر": " لست متأكدا كيف أتناول توق ناصر لتملك حتى زقاق مثلي ، والذي لطول ما تردد علي صار ينظر إلى منعطاتي وبؤسي كامتداد لجسده هو ، نعم خدعته لينظر إلى ذاته كواحد من رؤوسي ، ألهيه بفتات أفكارى بينما أبقيه خارج حاوية أسراري وآثامي ".<sup>16</sup> لا يبدو الزقاق هنا مجرد راو ، بل هو

بعضها ، وتنتثر الكثير من الحبر والمواء ... أذهلتها عشرات الصفحات من ورق أكياس الإسمنت الطافحة بآثار عجلات ، مسودة بالفحم ، وبكائنات بين البشر والدراجات النارية " .<sup>13</sup> تمثل حليلة الفطرة الأولى والإنسان الأول الذي يرى الحياة في كل شيء ، وهي بذلك تمثل وعي الساردة التي ترى الكون شيئاً واحداً ، ومن ثم فإن اللغة عنصر أساسي في تمثيل تلك الوحدة والتعبير عنها ، ومن ثم فهي لم تر الحروف بقدر ما رأت كائنات حية تتحرك أمامها ، ومرة أخرى قد يرجعنا ذلك إلى اللغة البدئية حين استعار الإنسان بالرسم وبالرموز للتعبير عن نفسه .

تختار الساردة تلك اللغة الشعرية التي تحمل سمات صوفية وابتهاالا غامضا يتجلى فيه أيضا ذلك التماهي العميق بين الإنسان والطبيعة بكل مكوناتها الحية وغير الحية . يقرأ المحقق ناصر في مذكرات "يوسف" رسالة غريبة بخط غريب، وتحيل تلك الغرابة إلى نوع من التشويش الذي يصيب القاريء في محاولة تحديد موضوع المذكرات ، وتحديد كاتبها ، هل هو يوسف أم هي الساردة التي تماهت معه ، أم هو " أبو الرووس " الذي يستلم الحكى أحيانا ؟ هل الحكى عن " مشبب " و " عزة " أم عن " يوسف " و " مكة " ؟ ويصير اللقاء بين العنصرين الجوهرين في الكون : المذكر والمؤنث ، الإنسان والأرض ، لقاء كونيا تتحد فيه عناصر الطبيعة كلها : " كحجر ساقط ، / ما كان فيها وإنما في البئر / في رقدته بين مصباتها الثلاثة ، / وهو يشرب لا كالحمام ولا كالقطط ولا كالدواب فقط وإنما أيضا كنبات ، وكحجر بكمال مداخله ، بقشرته وقلبه معا . / يشرب ملوحة على مذاق معدن ، للكاحل وأعلى ، من ذا الذي لا يستطيع أن يكون في مكانين في ذات الآن ؟ / متوج بالملوحة ومحجل / حين انوجد في طمها سقطت كل الجرار بحمامه ،

الطبيعة . وقد يتم تمثيلها على أنها مفصولة عن البشر بحدود أساسية، أو تتضام العلاقة بين الناس والحيوانات ، أو تكون مجازية مع العلاقات الاجتماعية بين الفئات الاجتماعية غير المتكافئة . وقد يذهب بعض الدارسين إلى اعتبار أن البشر في الأساس من الحيوانات ويظلون متوحشين في بعض خصائصهم الأساسية .<sup>19</sup> وتنطلق رواية " طوق الحمام " من هذه الرؤية إلى حد كبير ، فتظهر فيها ثنائية الإنسان / الحيوان بصورة واضحة ، وهي ثنائية التناقض أحيانا ، وثنائية التناغم والتماهي في أحيان أخرى . فكثيرا ما تصف البشر بأوصاف الحيوانات وتطلق عليهم ألقابهم ، كما تفعل العكس فيغدو الحيواني بشريا ويحمل كثيرا من سمات البشر . وهي رؤية تنطلق أساسا من الإيمان بوحدة الكون كما سبقت الإشارة ومن ثم تتداخل أفعال الإنسان والحيوان ، كما يتداخل الإنسان والطبيعة وعوامل البيئة في كل متكامل .

تتبدى ثنائية الإنسان / الحيوان في السرد في الذات حاكية عن نفسها أو واصفة لها ، وفي الذات موصوفة ومحكيا عنها . ولعل أبرز مظهر لهذه الثنائية يأتي مع المحقق " ناصر " الذي يتكرر وصفه بحيوانين أساسيين هما " الذئب " و " الكلب البوليسي " ، وهو وصف يتفق مع طبيعة مهنته التي ساعدته على تطويع بعض غرائزه وتطويرها : " مثل كلب بوليسي نادر درب ناصر حدسه لكي يذهب وراء الشخصيات التي لا تترك أثرا ... " <sup>20</sup> . ولا يقف السرد عند حدود التشبيه بل يصل إلى حد التماهي " الرجل الكلب ، حاسة الكلب ... " وما إلى ذلك مما يرتبط بسير التحقيق وإصرار ناصر على ملاحقة المجرم / الصيد أو الفريسة ، وكلها تعبيرات تستعير من الحيواني لوصف البشري أو العكس . ويتردد كثيرا ، وعلى مدى الرواية كاملة وعلى مستوى الشخصيات

فاعل سردي - على حد تعبير جريماس - يقوم بالتحفيز ويتحكم في الإنجاز ، ويقوم بدور مهيمن في كشف خيوط الجريمة على مدى الرواية بأكملها . أو في تشويش المعلومة وإبهامها ليمتد الحدث ويتراكم ومن ثم يقوم بتحويله صوب وجهات أخرى .

يتملك " أبو الرووس " دورا خفيا في علاقته بالبشر الساكنين فيه ولا سيما النساء ، فكأن نساءه يعانين من لعنة ما كما تقول " عائشة " : " هل لأبو الرووس مشكلة مع البنات ؟ ربما هي أن الحياة بيض عقرب ينبعث على ظهر أمه فما إن يفقس ويكبر حتى يلدغها حتى الموت " <sup>17</sup> . ومن هنا لم يكن غريبا أن تراه مثل قنفذ ، وأن تراه أفعى متعددة الرؤوس " كل حركة نأتمها هي لدغة لأبو الرووس ، لرؤوسه المتعددة وأذرع الأخطبوطية . هل تعرف كم رأسا تنبت مكان الرأس التي تجرؤ على قطعها ؟ " <sup>18</sup> ويتضح هنا هذا التماهي بين البشري وغير البشري ، وكيف يؤثر أحدهما في الآخر ، كما يتضح أيضا كيف تختلف العلاقة باختلاف الموقع ، لتبدو الطبيعة عنصرا مهيمنا وفاعلا يعيد صياغة العلاقات البشرية ويتحكم فيها ، وكأن رجاء عالم تعيد صياغة تلك العلاقات حين تغير المواقع وتجعلنا نراها من وجهة نظر البيئة المحيطة لنكتشف مدى تأثيرها فينا وعلينا ، وأنها ليست شيئا جامدا ، وليست مجرد موقع يمارس الإنسان فيه تأثيره من زاوية واحدة وباتجاه واحد .

### 1/ب : ثنائية الإنسان / الحيوان:

كثيرا ما تتشابك المناقشات النقدية للمكان مع رمز الحيوان الذي لعب دورا مهما في حد ذاته في الفكر البيئي ، ويرتبط رمز الحيوان في الخيال البيئي ، أكثر من غيره من المجازات والرموز ، بالتوترات الكامنة والتناقضات الصارخة ، إذ ترتبط الحيوانات بالبشر ارتباطا وثيقا أكثر من أجزاء أخرى من

للنسوية والمذهب البيئي على حد سواء.<sup>22</sup> والناظر في رواية " طوق الحمام " يرى هذا التفاعل الجوهرى بين المرأة والطبيعة فيتبادلان المواقع والأوصاف والأدوار. فكيف يكتب التخيل السردى الطبيعة باعتبارها فضاء نسويا ؟ أو كيف يكتبها باعتبارها امرأة ؟

يبرز في الرواية ربط واضح بين المرأة والطبيعة، أو التعبير عن إحداها بصفات الأخرى ، فتغدو الطبيعة أو الأرض أما لكل ما عليها . ولعل هذا الربط بين الأرض والأم هو ربط قديم عرفته الحضارات البشرية الأولى حين وصفت الأرض بأنها الأم الكبرى والعودة إليها هي عودة إلى الرحم والبدايات الأولى . وفي " طوق الحمام " عندما يصف الطبيب الألماني نفسه في رسائله لعائشة تغدو الأرض أكثر حنانا من الأم البشرية : " طوال النهار أتجول بعيدا عن اللمسة البشرية ، تطعمني الغابة وبناتها ، بينما أمي قد فقدت قلبها حين تربت كيتيمة " <sup>23</sup> . وقد تمتلك الأرض القدرة السحرية على إعادة تشكيل العناصر ، فهي الأرض الأم ، وهي أصل الولادة الأولى ، فبستان " مشبب " يمتلك قوة سحرية على توحيد الكائنات ، وهو الذي يحرر " عزة " ، وحين تدخله تشعر أن داخلها يتفتح كوردة ، حتى رائحتها تتغير ، تلك الرائحة التي يسميها مشبب " روح الولادة " <sup>24</sup> . تقيم الساردة هنا ربطا رمزيا وأسطوريا بين البستان والمرأة ، كلاهما يحمل الخصب والتجدد والولادة . " مشبب " / العنصر الذكوري عنين لكن الأرض / البستان هي المصدر الحقيقي للخصوبة ، وعزة تنماهى به ، وكلاهما يمثل العنصر الأنثوي ، الأرض ، الأم / الإلهة الكبرى . وهو ما يتأكد مع " عائشة " ، الشخصية المحورية الثانية التي قد تمثل الوجه الآخر لعزة ، فهي أيضا ترتبط بالماء والخصب ولغة الجسد ، وهي تتحول إلى فاكهة وثمره ناضجة

المختلفة ، هذا الربط بين الإنسان والحيوان ، فنرى الرجل الوطواط ، ولقب الولد الذي ربته " أم السعد " هو " تيس الأغوات " ، وهي تحزن على أي أذى يصيب الحيوانات الأخرى " وذلك باعتبارها " أما لتيس " ، وتعلن الحداد على قطعان الإبل التي تسمت في وادي الدواسر . أما " معاذ " فيتعاطف مع الخروف الذي نذرته التركية للذبح ، لم يطق النظر في عينيه المبللتين بالدمع ، ومشهد الذبح جعله يستحضر مشهد القصاص وصورة " مشاري " الذي يقص الرقاب ، ليقول إن الموت واحد ، والقتل واحد أيضا . " يوسف " رضع مباشرة من ضرع الماعز حين يئسوا من فطامه من ثدي أمه حليلة ، فأطلقتها إلى بستان " مشبب " يرضع مع صغار الماعز .<sup>21</sup> وكل ذلك يعيد تشكيل وعي بيئي حول علاقة الإنسان بالكائنات حوله ، وأنها لا تسير في اتجاه واحد بل هي علاقة تفاعلية قد يخضع فيها الإنسان أحيانا لهيمنة قوى الطبيعة وتأثيرها فيه لتعيد تشكيل سلوكه ورؤاه لما يحيط به ، وهو ما يحيل إلى رؤية الكاتبة ووعيا تجاه ما يحيط بها ، فانطلق النص السردى من خلال شخصياته ومن خلال قضية بسيطة في ظاهرها ( اكتشاف جثة لامرأة مجهولة في الزقاق ) للغوص في تساؤلات أكثر عمقا ترتبط بعلاقة الإنسان بالكون وبما يحيط به من موجودات ومن منطلق إنساني يتجاوز الحدود بين الكائنات الحية والجماد ، بين الإنسان وغير الإنسان .

## 2- المرأة الطبيعية (الطبيعة الأنثى):

ترى بعض النسويات ، كما سبقت الإشارة ، أن الطبيعة امرأة ، وأنه قد أسيء استغلال الطبيعة والمرأة على حد سواء ، كما أنهما قد خضعا لعلاقات الهيمنة ذاتها . وترى بعض النسويات المهتمات بالنقد البيئي النسوي ضرورة فهم الترابطات بين النساء – الآخر البشري – والطبيعة ، وأن ذلك مهم بالنسبة



مذكراته<sup>28</sup>. ويلاحظ أن " عائشة " ترتبط أيضا بالحمام ، ومعاذ حين رأى امرأة في العرس أعادت له ذكرى حمامة تلوي رقبتها على رقبة وليفها<sup>29</sup>. وعائشة حين تحاول تجاوز المكان الذي يحاصر المرأة ويحجبها عبر الكتابة مرة ( رسائلها لطبيعتها الأوروبي ) وعبر التخييل مرة أخرى تحس بالطيور تخترق وسادتها : " عقب صلاة الفجر أترك للطيور أن تسبح على جسدي ، صوت الشفاء الذي يغوص عميقا بالدماغ " <sup>30</sup> . والحمام يختفي أو يختنق حين تختفي عزة وحين تهدم المباني في مكة . ويعود حرا في ذاكرة " معاذ " حين تفتتح " نورة " ( عزة سابقا ) مرسما وقد غيرت اسمها وخلعت الحجب عنها : " الطيور ما هي إلا إرادة الحرية في الطبيعة ، تتجسد في حفنات مجنحة عرفناها كطيور لكنها الحرية .. تخرج من أجسادنا مثل تلك الحفنات حين نلتقط صورة للحلم الذي ظل يكبر فينا ، ونجري وراءه أينما ذهبنا ، ... ، رأيت كل ذلك في عشرات اللقطات التي حاولت تصويرها لبنات وأولاد أبو الرووس في ركضنا وراء حلم . هل رأيت مثل هذه الطيور تخرج من جسد الفنانة في هذا الافتتاح ؟ " <sup>31</sup> . الحرية لا تتحقق إلا بتحرر الطبيعة وتحرر الإنسان معا ، لكن ذلك لم يتحقق فعليا حيث ظلت الشخصيات معلقة بذاكرتها ومحكومة لقوانين خارجة عنها ، هي قوانين الطفرة المالية التي حاول أصحابها اكتساح كل شيء بشريا كان أو غير بشري ، ففقد " أبو الرووس " هويته ، وفقدت مكة ملامحها وضاعت عزة تحت اسمها الجديد.

ينفتح النص السردي في طوق الحمام على تماثلات جوهرية أخرى تعيد تشكيل العلاقة بين عناصر الطبيعة ، فالطبيعة أنثى ، والمدينة ( مكة ) امرأة تنسب الشخصيات إليها كما ينتسب الأبناء إلى أمهاتهم ، ويرد في النص بعض التصورات

حين ألبستها التركية فستان عرسها<sup>25</sup>. من هنا فإن المرأة تشكل القوة الحيوية والفاعلة ، وقد تكون المبادرة وصاحبة الرغبة ، وتعلن عن رغبتها تلك على خلاف السائد ، كما في شخصية " عطرة " التي مرت عابرة في الرواية ، لكنها حضرت لتؤكد القوة الفاعلة للمرأة ، فهي تزوجت نصف دزينة من الرجال : " يقولون إنها تنظر مباشرة إلى ماء الرجل ، وتخرقه عبر عموده الفقري ، وإنما تعرف نقاط المس التي تتحكم بالحيويات... " <sup>26</sup> . ويبدو أن الساردة هنا تقلب الأدوار لتعيد شيئا من التوازن إلى النظام الكوني ونظام الطبيعة ، لكن ذلك يظل استثناء ، فالزقاق ورجاله ما فتئوا يقمعون المرأة ويستغلونها لتنتهي مقتولة وجثة مجهولة أو تختفي دون أن يعرف مصيرها ، وغالبا ما يمثل العنصر المذكور مصدر القمع للمرأة والتشويه للأرض ، وهو ما يعيد إلى الذهن أنظمة الهيمنة وتمثالات الطبيعة والمرأة التي تجادل حولها النسويات كما سبقت الإشارة .

يبني النص تماهيا آخرين المرأة والطبيعة ، وهو التماهي بين المرأة والطيور وتحديدًا بين عزة والحمام ، فكلما حضرت عزة ، وهي الشخصية المحورية في الرواية ، يحضر معها الحمام ، فهما شيء واحد ويحملان كثيرا من الصفات المتشابهة : " قاطعت نوم يوسف تلك الخطوات الخاطفة تعبر الزقاق كحمامة تطير قريبا من الأرض ، من على سطحهم ملح يوسف الفتاة تركض في عباؤها صوبه . " <sup>27</sup> ترتبط ذاكرة يوسف بعزة والحمام معا ، ولا يقتصر الأمر عليه ، فأبوها يرى فيها صفات الطير أيضا ، وغالبا ما يراها يوسف حمامة تحاول الطيران وهو يحاول تحريرها فيعجز عن ذلك ، فالولد يحاول تحرير البنت مثل حمامة لكي يمسد عنقها ويخترق عوالم النساء المحرمة ، لكن عين الحمامة ( عزة ) لم تلتفت إلى الوراثة قط كما يروي يوسف في

بناء تصور رؤية الإنسان للكون ولللباس من خلال منظور المرأة التي يمارس عليها ما يمارس على الطبيعة والمكان من حجب وإقصاء .

وكما ارتبط الحمام بعزة وبالمراة يقيم النص ارتباطا آخر بين الحمام ومكة ، وغالبا ما يكون يوسف عاشق عزة ومكة في الوقت نفسه هو ما يربط بينهما ، ففي وصف مباشر يقول : " مكة حمامة تطوق عنقها ألوان متجاوزة لتدرجات الطيف البشري " .<sup>34</sup> وحين يتعرض للصدمات الكهربائية في جسده في مستشفى شهرار تبدو له الجروح كخطوة حمامة ، وحين يذهب إلى الحرم يرى نظرات الحمامة النارية تصوبها عميقا إلى عينيه ، وحين اختفى يوسف ومفتاح الكعبة أسراب الحمام تجمدت على أقواس الأروقة .<sup>35</sup> وبذلك يبني النص على هذا التماهي الذي يقيمه يوسف بين مكة والحمام ، وعلى تماه آخر يقيمه يوسف أيضا بين مكة وعزة ليتشكل في النهاية مكون سردي دائري تبني عناصره من مكة وعزة والحمام وليحيل كل عنصر إلى الآخر بصورة مباشرة وغير مباشرة . تصير عزة هي مكة ، وحين ينطق يوسف اسمها ينطقه بذات العمق : " الطريقة التي تعطي الاسم ذاك البعد السحيق ، ينطقه كمن يضرب أرض مكة ويحفر فيها بئر زمزم أو يوم قيامة .. " .<sup>36</sup> وهو ما ينسحب أيضا على " عائشة " الوجه الآخر لعزة فهي أيضا تتحد بالمدينة وبالطبيعة ، لتصير هي المدينة والحمامة أيضا ، فعندما تلبس ثوب عرسها تعيد تمثيل المشهد الذي روته " التركية " عندما خاطت لها ثوبها وعندما زفت إلى زوجها ، لكنه تمثيل مختلف تمتليء فيه اللغة بمحمولات رمزية : " وقفت على برميل صغير يمثل تلك المنصة الأولى ، وتركت لليل مكة أن يتناوب والدانتيل على لعق جذعي ، ارتديته على الجلد ورفعت بذراعي الحفيفتين عاليا في السماء متأهبة للطيران واقفة

والمعتقدات المرتبطة بمكة وانتساب أبنائها لها ، وهي معتقدات تحيل إلى التصورات البدائية الأولى وإلى الوحدة الكلية للوجود ، فمن يريد إثبات نسبه عليه أن يصعد إلى غار وأن يدخل من شق ضيق بشكل يعيد إلى الذهن جسد المرأة والرحم وعملية الولادة ، ويوسف يدخل إلى ذلك الشق بنص يعيد بشكل رمزي هذا الربط بين المدينة / مكة والمرأة بما هو أشبه بالولادة الجديدة : " شعر يوسف كما بمواجهة موت ، بدا الشق أضيق من أن يسمح بولوج جسد بشري .. حبس يوسف أنفاسه وبدفعة قوية لجمجمته في الصخر اضطرب كامل الجبل ، وجاشت حيوانيته ، وتجمدت أنوثتها في ذلك المخاض ، وانعجن جسد يوسف بالقمر الذي التم حوله تخينا بينما تلقته دوامات ذلك الشق ، أغمض عينيه مركزا حيوياته لتدفع أعمق ، وفي لولبة خارجة عن إرادة جسده انزلق فكان في ذاك الرحم الحيواني . حين ولج تيس الأغوات من الباب الواسع للغار رأى أمامه لحمه يوسف عارية ، وقد تساقطت ثيابه عنه وبدا مثل علقة ولدت عكسيا لترجع للرحم ... " .<sup>32</sup> هي ولادة جديدة كان لا بد أن يمر بها يوسف لينتهي مرة أخرى إلى المدينة المرأة . ويبني النص السردية هذه الرؤية التي تربط بين مكة والمرأة في أكثر من موضع ، ويلاحظ أنه يقدمها من خلال السارد العليم مرة واصفا لحظة الولادة والانتساب كما في المقطع السابق ، أو من خلال راو مشارك يروي عن يوسف أيضا ، تنقل عائشة عن يوسف في الفصل المعنون بـ " غشاء مطاطي " : " كيف نصت الكعبة أول ثوب خلعه عليها الملك تبع الحميري ، والذي كسا البيت المسوح والأنطاع فانتفض البيت فزال تلك الثياب عنه ... صدقتي هناك ثياب للعذاب " .<sup>33</sup> فتقيم عائشة توازيا بين فرض ثياب على الكعبة لحجمها وفرض لباس على المرأة لحجمها أيضا ، ومن ثم تعيد

الكائنات الحية الفردية . أو بشكل أكثر تحديدا هو يشمل المكونات غير الحية ، الحيوية ( الفيزيائية والكيميائية ) والعلاقات المتبادلة مع المكونات الحية الأخرى " .<sup>39</sup>

تحمل رواية " طوق الحمام " هذا الهاجس الذي يحاول مساءلة علاقة الإنسان بالمكان وبالبيئة المحيطة ، تحديدا " مكة " وعوامها وأحيائها والبشر الساكنين فيها . ويتضح هذا الهاجس من عتبة النص الأولى أي العنوان ( طوق + الحمام ) . فالطوق يمكن أن يكون سجنا وقيدا وقتلا ، والحمام يمكن أن يكون المرأة أو مكة كما سبقت الإشارة . ومما يسند هذا التأويل التمهيدي عتبة النص الثانية المتمثلة في الإهداء ( لبيت جدي عبد اللطيف ) ، هذا البيت المعد للإزالة بسبب دخول السيارات / المدنية الحديثة ، حيث صار عدد السيارات يفوق عدد البشر في مكة : " وها هي الجبال تنقض وتتلاشى وتبتلع العمارة العريقة ، ومعها بيت جدي القائم على قمة ما كان يعرف بشرفات الحرم باسطنبول مكة . كل ذلك الماضي الساذج غاب الآن ، ولم يعد له وجود سوى في هذا الكتاب " .<sup>40</sup> فهل كانت الكاتبة تحاول الاحتفاظ بتاريخ مكة أم أنها كانت تحاول إعادة وعي القاريء بما جرى فيها وكيف تم تحويل وجهها وقتله بشكل تال ؟ يطرح النص هذه المسألة على لسان " نورة " في الجزء الأخير منه حين رأت الحمام في مدريد تذكرت حمام مكة : " أيضا الحمام المطوق في صحن الحرم / يلف فوطة حول عنقه ليذهب للاغتسال . / حتى إذا جاء المساء / يلف وشاحا ويذهب إلى عرس . / كبرنا على أن هذا المطوق الرمادي والذي يطير في دوائر حول الكعبة : مقدس . / ... / لأننا حين كنا صغارا أقنعونا بأن هذا حمام بيت الله . من كل الأرض لا يحيا ويخدم إلا في حرم مكة . / لا تؤذوه . / بالأمس رأيت هذا المطوق في

كما في نومي " .<sup>37</sup> ، فيوضح اختيار اللغة هنا ذلك التماهي العميق بين المرأة والمدينة والطائر ، بين البشري وغير البشري فلا ينفصل أحدهما عن الآخر . ولعل هذا التبادل في الأدوار والمواقع والدلالات بين المرأة ومكة والحمام هو ما يشكل جوهر الرواية والخيط الذي يجمع بين أجزائها ، لتغدو قصة الجريمة والفتاة المقتولة جزءا من قتل أكبر هو قتل البيئة ، وهو ما سنراه في المحور التالي .

### 3- قتل البيئة أو تشويمها:

يعنى النقد البيئي بالعلاقة بين الإنسان والبيئة ، وكيف يمثل النص التعامل مع العالم غير البشري وعلاقتنا به . وفي إطار التعامل مع الطبيعة هناك من يرى أن الهدف الأساسي لها هو خدمة الإنسان ، وأن الإنسان هو سيد الطبيعة ، ويؤيد الاستخدام المنظم لمصادرها من أجل استدامة المستقبل . وهناك من يحاول تحدي هذه الحوارية من أجل الحفاظ على الطبيعة دون تدخل الإنسان على اعتبار أنه من حق الطبيعة أن تحيا ، فكل الموجودات لها قيمها الداخلية ولا أحد يسود الآخر ، وبالتالي فإن للموجودات كلها حقوقا متساوية . من هنا فإن النقد البيئي ، في أحد جوانبه ، لا يتعلق بكيفية عمل الأنظمة البيئية بل بكيفية عمل الأنظمة الأخلاقية : كيف نتصرف مع الطبيعة الأم ، وكيف يبني العمل السردي هذا الوعي وينميه فينا .<sup>38</sup> وبعبارة أخرى كيف يعيد النص الأدبي صياغة رؤيتنا للعالم وللبيئة بكل مكوناتها ، وذلك من أجل إعادة الازدهار إلى الأرض ، ذلك الذي فقدته بفعل تدخل الإنسان غير المنظم واعتدائه الأناني على مكونات الطبيعة . وفي هذا السياق يمكن إعادة صياغة مفهوم المكان وعلاقة الإنسان به ليتجاوز الأمر مجرد المكونات المادية المحيطة بالإنسان إلى أن المكان هو " الجمع بين الظروف الخارجية التي تؤثر على حياة

بالبشر ومحاولة التأثير على بعض مجريات حياتهم .  
 يحكي " أبو الرووس " من الصفحات الأولى عن نفسه  
 وعن إهمال الإنسان وتشويهه للبيئة : " فحيث إنه  
 لم يُعتن بتنويري قط فلقد تعلمت أن أجلس في  
 العتم مخدرا وأسحب نفسا عميقا من الأنف ( معبأ  
 بخمائر فضلات ونز بالوعات ونشاز أصوات ، كشأن  
 روائح الحوارى المنسية ) ، وأحبسه لدقائق قبل  
 إطلاقه بتأن من الفم في هيئة إشاعات وخرافات  
 ومحظورات أخنق بها سكاني "43 . ويبدو فعل  
 التدمير هنا متبادلا ، فالزقاق ( البيئة والطبيعة )  
 يعاقب ساكنيه على توحشهم وإهمالهم . لكل شيء  
 ثمنه والإنسان لا بد أن يدفع الثمن . ويعزز السرد  
 من صورة التشويه التي يعاني منها الزقاق حين  
 يشترك المحقق " ناصر " في الحكى ويتفاعل مع  
 المشكلات البيئية التي يعاني الزقاق منها " يتنصت  
 على أكياس القذارة التي تمتص وقع خطواته ، يفتش  
 المداخل الكئيبة التي لا تكاد تمرر بشرا ، والأحواش  
 المسكونة بالدواب الضالة والجن ... تلفت ناصر بحثا  
 عن مهرب ، لكن الزقاق حاصره مثل قنفذ يسفر عن  
 أشواك أطباق استقبال البث الفضائي "44 . هنا  
 يتفاعل البشري مع غير البشري ، الحي مع الجماد  
 لتقديم صورة عن بيئة مشوهة ، ولعل الربط بين  
 أشواك القنفذ وأطباق استقبال البث الفضائي جاء  
 مقصودا ليؤكد أن هذا التشويه قد جاء مرتبطا  
 بدخول الحضارة ، لكنه دخول شكلي حيث يستقبل  
 الناس الفضاء لكن الزقاق في العمق ميت ومليء  
 بالوحشة وبالقادورات . لقد استوطن الناس المكان  
 وعملوا على تدميره ، والسرد يحكى عن هذا الفعل  
 الإنساني التدميري ، ف " أبو الرووس " يحكى لناصر:  
 " أسمع دوي الدماء في عروق الرجال الذين  
 استدرجهم من أطراف الأرض بأحلام الذهب الأسود  
 ، خلفوا وراءهم الأهل والأولاد وجاؤوا كالقمل لسكنى

أفلام هوليدود في كل مكان . / أهو الحمام يهاجر  
 ويشيع ، أم هي بيوت الله في كل مكان ؟ / ... / فما  
 ضر لو حشرتُننا جميعا في هذه الكلمات ، وحشرت  
 الكلمات في كتاب ، والكتاب للحياة ؟ "41 . فهل تحاول  
 الكاتبة حصر تاريخ مكة وحكاية أهلها من خلال  
 حكاية " أبو الرووس " وجريمة قتل المرأة الغامضة ؟  
 إن ما ورد في عتبات النص الأولى وما ورد  
 من تساؤلات حول مكة وحمامها في الجزء الأخير من  
 الرواية يغلق دائرة الأحداث ، ودائرة حكاية غزو  
 الإنسان للبيئة واستباحته للأرض والمكان والإنسان ( لا سيما المرأة ) باسم الحضارة والمدنية والتقدم ،  
 مخالفا بذلك هاجس الأجداد في الحفاظ على البناء  
 والأرض ، ذلك الهاجس الذي جعلهم يتركون بيوتهم  
 وقفا لا يحق لنسلهم غير سكنه وتأجيرهم دون البيع  
 والتصرف في الثمن ، " حكمة تتعرض الآن للتآكل ،  
 بهذه الفراغات الكبيرة في خارطة الوقف "42 . لكن  
 الإنسان قام بقتل البيئة وتشويهها باسم الحضارة  
 والرغبة في التوسع العمراني والطمع في الثراء المادي .  
 ومن ثم نشأت علاقات جديدة بين الإنسان وتلك  
 البيئة كان لا بد أن يدفع ثمنها في النهاية وأن تمتد  
 لتمس علاقته بالبشر المحيطين كما مست علاقته  
 بالمكان .

يبدأ النص بمحاولة إعادة الوعي بالتشويه  
 الحاصل في البيئة من خلال اختيار الراوي ، حيث  
 يأتي السرد على لسان الزقاق المسى " أبو الرووس "  
 وتهمين وجهة نظره على سرد الأحداث . ويحتل سرد  
 " أبو الرووس الجزء الأول والأكبر من الرواية .  
 واختيار السرد على لسان الزقاق يسهم في إعادة  
 تكوين وجهة النظر تجاه الأشياء التي يراها الإنسان  
 من المسلمات في الحياة العادية . يتحول الزقاق إلى  
 راو مشارك وشاهد على الأحداث ، إلى كائن حي  
 ينفعل بما يجري ويكون له دوره أيضا في التبرص

في مدة أقصاها شهر<sup>49</sup>. الزقاق والبيوت وآلات الهدم كلها كائنات حية ، والسرد بهذا التصوير يعيد تصور العالم ، ويعيد تشكيل رؤيتنا في أن ما نراه جمادا ليس كذلك ، ويدين بذلك الفعل الإنساني التدميري لما يحيط به بحثا عن مال أو ثراء أو تطور مزعوم .

لقد سبقت الإشارة إلى أن الرواية تنطلق من الإيمان بوحدة الوجود والكائنات ، وأن مكة والمرأة والحمام وجوه لشيء واحد ، ويتكرر في النص التعبير عن مكة بأنها امرأة ، وأنها تحيا من خلال امرأة : " نجح يوسف في تحويل رؤية ناصر لمكة ، صار يراها كأثى ، لقد سلبه حتى مكة التي عرفها وضى عمره في حراستها ، وقع ناصر في شبكة العقود التي عقدت وفصمت في أبو الرووس ، يدوخه يوسف : " كلما عطشت مكة لتموت شرّتها امرأة ، هاجر وزبيدة وفاطمة ... " <sup>50</sup> . هذه المدينة الأنثى يمارس عليها العنف كما يمارس على المرأة تماما . وهي الرؤية ذاتها التي تنطلق منها بعض أطروحات النقد النسوي البيئي ، فهناك خصائص مشتركة وسمات متشابهة بين استغلال النساء والطبيعة حيث تجري عليهما هيمنة غير مبررة ، ويشتركان في ملامح الإقصاء والحجب . ويقوم النص نوعا من التوازي بين القمع الذي يمارس على المرأة ( نساء الزقاق اللاتي يمثلن نساء مكة ) والقمع الذي يمارس على مكة وعلى أبنيتها ، فمكة المدينة الأنثى يحجب وجهها بالأبنية الجديدة ، وتحاصر بالتغيرات والهدم العشوائي ، كما يحجب وجه المرأة وتقصى إلى الظلام خلف الأستار والألبسة . المرأة تكشف وجهها في الحرم ، والحرم جوهر مكة ووجهها الذي يخاف عليه من الحجب ، وهو وحده الذي يصارع من أجل البقاء بملامحه الأصلية<sup>51</sup> .

رؤوس ، يمتصون دمي بينما ألثمهم أعمارهم وأحلامهم في خرائبي ، وصنادقي العشوائية ... أفايضهم شباهم مقابل عفتي " <sup>45</sup> . إنه العنف المتبادل بين الإنسان والبيئة ، والتمن الذي لا بد من دفعه ، فالزقاق (البيئة ) ليس مجرد مستقبل سلبي ، والحضارة والتطور لهما ثمنهما أيضا ، وهو ما يشير إليه دارسو النقد البيئي الذين يتحدثون باستمرار عن الأزمة البيئية ، وعن ضعف العلاقة بين الإنسان والطبيعة بفعل الحضارة والتطور الصناعي ، لكن البيئة هنا لا تستسلم لهجمة الإنسان بل تقاوضه وتعاقبه على تدميرها ، وكأن النص بذلك يأخذ دورا استشرافيا ودورا آخر تحذيريا لما يمكن أن تؤول إليه الأمور لو استمر الإنسان في تدمير ما يحيط به .

تقوم الشخصيات في الرواية بتدمير الزقاق عبر إهماله ، وتدمير مكة عبر تغيير ملامحها وهدم بيوتها القديمة لتحل محلها عمارات حديثة ، تلك العمارات التي لا تحتفظ بملامح خاصة بها ، فالمباني ، كما يراها ناصر ، متناسخة ومحصورة في صف عمودي : " الشارع أشبه بجثة تنفخ بخارا ، بلا قدم تحيها ، فقط صف من العربات على الجانبين لركاب أشباح لا يظهرون لعين " <sup>46</sup> . ويتكرر في النص التعبير عن التغيير بـ " الموت والاختناق " ، فيوسف يتحدث دوما عن اختناق مكة باختناق جبالها ، وعن اختناق الكعبة والنبوءة التي تتحدث عن اختفائها ، فإما أن تختنق أو يجرفها المطر الذي سينزل من قمم ناطحات السحاب المحيطة<sup>47</sup> . كما تتكرر مفردات العنف في وصف عمليات الهدم والتغيير : " وفي المرأة راقب الرجلان الجرافات ، تغرس خطمها في بستان مشبب ، وتغوص لتبقر الأقبية المستترة من كل صوب " <sup>48</sup> ، " لم يسقط الزقاق دفعة واحدة ، الفراغات في أبو الرووس جاءت مثل أسنان تسقط ، قبل أسبوع تسلم من بقي من الأهالي إنذار بالإخلاء

نشرب الدم .. قل لي : لم تمتلك البنت المعشوقة رغبة في الانتحار<sup>54</sup> . لقد وقف رجال الزقاق عاجزين عن حماية نسائه ، كما عجزوا عن وقف محاولات الإخلاء وشراء البيوت وهدمها من أجل بناء عمارات جديدة . وبنات أبو الرووس اختفين خلف الجدران كما اختفت عائشة في مخبئها السري المظلم وعاشت مع أوهامها ومذكراتها وانتهت بالاختفاء أو الموت . أو يتم سلين هويتين وتحويل ملامحهن . " خالد الصبيخان " الثري الذي تسلل إلى الزقاق وأخذ عزة خلصة وسافر بها إلى مدريد بعد أن أسلمته جسدها مقابل المال ، وغيرها وغير اسمها إلى " نورة " وعاد بها إلى جدة بملامح جديدة باعتبارها فنانة ، وافتتح لها معرضا تقابل فيه الناس بوجه جديد ودون غطاء ، وهو من أسلمها لأصدقائه كي ترفه عنهم، هو نفسه الذي غير وجه مكة أو كما يرى يوسف متحدثا عنه وعن الزقاق ، هو الجرافات التي جرفت والأختام التي نزعت الملكيات .. يوسف ، عزة ، أبو الرووس ، مجرد نقاط أزيلت على خارطة إبادة جماعية<sup>55</sup> . لقد قتلت عائشة فعليا ، وقتلت عزة معنويا كما قتلت مكة والزقاق على يد الصبيخان الذي غير خارطة مكة ووجهها بماله تحت مسمى التطوير والتوسع العمراني . وترافق ذلك مع قتل رمزي وفني اختارته الساردة وهو قتل " أبو الرووس " على مستوى الحكيم ، فاختفى " أبو الرووس " الراوي المشارك في الجزء الثاني من الرواية ليحل محله راو عليم يحكي بضمير الغائب ، وتراجع " أبو الرووس " إلى خلفية المشهد مع حضور ذلك الراوي لتتقدم " نورة " أيضا إلى الواجهة وكأنها تقدم الوجه الجديد لمكة بعد أن فرت مع الصبيخان ، وظل وجه مكة القديم ذاكرة تحتفظ بها ويعيدها لها الحمام كلما رآته . بذلك تكتمل المعادلة فتدمير البيئة هو تدمير للإنسان إذ يدين النص ما حدث في مكة من تشويه

يعتقد الكثيرون في النقد النسوي البيئي أن الصلة بين تبعية المرأة وتدمير النظم البيئية لا تتبع من التعرف على النساء اللواتي يعانين من وضع غير إنساني بل من وضع المرأة الاجتماعي ، مع إدراك وجود علاقة جوهرية بين إضفاء الطابع الخارجي على المرأة واستغلالها وإساءة استخدام الموارد الطبيعية<sup>52</sup> . هنا يمكن الكشف عن التداخل الذي تطرحه الرواية بين تشويه وجه مكة وحجبها وقتلها باسم التطوير والتحضرويين أشكال الظلم الاجتماعي الذي يقع على نساء " أبو الرووس " ، كيف أسهمت سياسات التطوير التي تعرضت لها المدينة في قتلها وفي قتل نساء الزقاق معنويا وماديا . وإذا كان النقد البيئي النسوي يتحدث عن إسهام سياسات التطوير وممارسات البشر فيما يخص الطبيعة في عجز النساء عن التزود بما يكفي أنفسهن وعائلاتهن على اعتبار أنهن الفئة الأضعف ، والفئة المستهلكة لا المنتجة ، فإن رواية " طوق الحمام " تتجاوز ذلك إلى طرح تهمة المرأة وقتلها ( جثة المرأة الغامضة التي قد تكون عائشة ) واستباحتها وتحويلها إلى وجه آخر كما حصل مع " عزة " التي تحولت إلى " نورة " . ويبدو هذا الربط مباشرا على لسان إحدى شخصيات الرواية حين يقول تيس الأغوات : " عالمنا مات عندما ماتت بنات أبو الرووس ، من غيرهن يحلم بفئران مثلنا ؟ بل سمعت بأنه حتى الكعبة يحبسونها وراء المتاريس منذ ضياع المفتاح"<sup>53</sup> . لقد مارس رجال الزقاق / المجتمع الذكوري الهيمنة على نسائه ، كما مارسوا هيمنة من نوع آخر على المدينة : " بنات أبو الرووس عشن في رعب أن يتحولن إلى لحم ودم حقيقي ... خوفا من الفضيحة احتضن الموت . ويلحقن التهمة برجال مثل يوسف أو خليل أو تيس الأغوات أو حتى أنت ابن الإمام حافظ القرآن .. علينا أن نحمل ذنب الفريسة هذا من دون أن

باختلاف الموقف ، وارتبط قتله أو تشتيته بقتل المدينة والمرأة وتشويه وجههما. المرأة الطبيعية ، هي العنصر الفاعل والمحرك للحدث في الرواية ، فمن هذه المرأة الكلية أو الأنثى الكونية تتناسل الثنائيات الأصغر: المرأة / المدينة ، المرأة / الحمام ، المرأة / الإنسان ، وعلمها كلها تجري علاقات الهيمنة غير المبررة التي أدت إلى تدمير المدينة ( مكة ) وخنقها وتشويه ملامحها ، كما أدت إلى قتل المرأة ماديا ومعنويا بتغيير اسمها وهويتها وشكل حياتها.

هكذا يمكن القول إن رواية " طوق الحمام " تنطلق من وعي بيئي ، وتستجيب لبعض مفاهيم البيئية النسوية، وتحاول من خلال اختيار شخصياتها ( البشرية وغير البشرية ) إعادة الوعي بأهمية البيئية ورفض بعض المسلمات التي ترى الأمكنة والشوارع والجمادات أشياء ميتة لا قيمة لها . كما تدين بشكل ضمني الطفرات المالية والتطور العشوائي الذي يقوم بالهدم والتدمير تحت مسمى الحضارة والتطوير . رواية " طوق الحمام " هي ، في أحد وجوهها ، رواية الاحتفاظ بذاكرة المكان وحكمة الأجداد والفترة الأولى كما ورد في عتباتها وتجلي في أحداثها وشخصياتها.

### الإحالات والهوامش:

<sup>1</sup> Lawrence Buell, Ursula K. Heise, and Karen Thornber, Literature and Environment, Annu, Rev. Environ. Resour, 2011, 36417-40, pp 422, 423

<sup>2</sup> حول هذا الأمر ، انظر ، جيليك توشيتش ، النقد البيئي " دراسة بينية في الأدب والبيئة " ، ترجمة سناء عبد العزيز ، فصول ، النقد

على كافة الأصعدة ، للبشري وغير البشري ، ورغم أن " عزة " تحررت ظاهريا بعد أن تغير اسمها وتغيرت هويتها إلا أن الثمن كان مدفوعا من خلال انسلاخها التام عن الماضي وعن الزقاق وأهله وعن مكة حين عادت إلى جدة وحيدة يستغلها الصبيخان ويتلاعب بها كيف شاء لتصبح امرأة جديدة بلا هوية كما هي مكة التي اختفت ملامحها القديمة وفقدت مفتاحها وأسرارها حين هدمت بيوتها وهزم " أبو الرووس " ليحل محله العمارات والمباني الحديثة .

### خاتمة:

تنطلق رواية " طوق الحمام " والتخييل البيئي فيها من الإيمان بوحدة الكائنات ، وأن العلاقة بين الموجودات علاقة تكاملية ، لا فرق بين البشري وغير البشري ، بل إن الجمادات تحيا وتنفس وتشعر وتتألم وتغضب . وانطلاقا من هذا جاء السرد فيها على لسان الزقاق " أبو الرووس " الذي قام بدور الراوي الشاهد والمشارك ليقدم وجهة نظر الأشياء التي يعتبرها الإنسان في العادة ميتة ولا أهمية لها . وعندما تم تدمير البيئة وتشويه وجه المدينة تم قتله فنيا ليختفي من واجهة السرد ويتراجع عن الحكي لصالح الراوي العليم الذي يراقب الأشياء من الخارج ويلتقط تفاصيل التحول في العلاقات . بذلك تعيد الرواية تشكيل وعي القاريء بأهمية البيئة المحيطة وأهمية التفاعل الإيجابي معها وعدم تدميرها أو تشويهها . ومن هنا كان الاختيار اللغوي عنصرا فاعلا في هذا الأمر حيث اختارت الكاتبة لغة تعتمد على تمثيل التماهي بين الكائنات ، فتبادل الاستعارات والأوصاف والأدوار بشكل كبير. وقد برزت ثنائية الإنسان / الحيوان على مدى الرواية على اعتبار أن الحيوان أكثر الكائنات علاقة بالإنسان وربما أقربها إليه . وكان للحمام دور مهمين حيث شكل هوية جامعة بين ذاته والمدينة والمرأة فتبدل وجوهه

رواء جليل الجنابي، نسق النسوية البيئية في رواية حديقة حياة للطفية الدليبي:

Route Educatonal & Social Science Journal , vol 6 (2), January 2019 , pp 630 ،

Marijke Colle, Feminism and ecology: the same struggle? The shaping of ecofeminism. Cadtm . org , 13May 2019

Greta Gaard , Strategies for a Cross – Cultural of Ecofeminist Literary Criticism, University of Wisconsin –River falls , 2010 , pp 47, 48.

<sup>11</sup> انظر، لورنس مل ، أرسولا ك . هيس ، كارين ثورنبر ، الأدب والبيئة ، ص 344، إيمان السلطاني وآخرون ، نسق النسوية البيئية في رواية حديقة حياة للطفية الدليبي ، 633-737 ، جميل حمداوي ، نظريات النقد الأدبي والبلاغة في مرحلة ما بعد الحداثة، ص 297 ، 298:

Muhammad Shoaib , Desecration of the Earthly Paradise ,pp 81 ،

Serpil Opperman , Feminist Ecocriticism .The New Ecofeminist Setlment , Feminism o/s 22 , December , 2013, pp 68.

<sup>12</sup> انظر:

Sandip Kumar Mishra , Ecocriticism, pp169

<sup>13</sup> رجاء عالم ، طوق الحمام ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، الدار البيضاء ، ط ( 1 ) ، 2010 ، ص 15 ، 16 وانظر أيضا أمثلة

أخرى ، ص 14 ، 19 ، 34 ، 43 ، 45 ، 64 وغيرها

<sup>14</sup> رجاء عالم ، طوق الحمام ، ص 316

<sup>15</sup> انظر، المصدر السابق ، ص 7 ، 8

<sup>16</sup> المصدر السابق ، ص 133 وانظر أيضا حديث " أبو الرووس " عن " خليل " ص 92

<sup>17</sup> المصدر السابق ، ص 53

<sup>18</sup> المصدر السابق ، ص 53 ، وانظر ص 139

<sup>19</sup> انظر، لورنس مل ، أرسولا ك . هيس ، كارين ثورنبر ، الأدب والبيئة ، ص 352 ، 353 ،

<sup>20</sup> رجاء عالم ، طوق الحمام ، ص 42، وانظر أيضا ص 41 ، 43 ، 47 ، 49 ، 50 وغيرها

<sup>21</sup> يمكن ملاحظة الأمثلة السابقة وغيرها في مواضع كثيرة من الرواية ، انظر على سبيل المثال ، ص 41 ، 42 ، 51 ، 53-55 ، 113 ، 124 ، 133 ، 158-161 ، 231 ، 232 ، 257-260 ، 349 ،

350 ، ومنه أيضا القصة الأسطورية حول نشأة مكة التي تتماهى فيها الكائنات كلها ويتمزج الإنساني والحيواني ، انظر، ص 89 ،

90

الأدبي وتداخل الاختصاصات، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مجلد ( 2/26 )، العدد ( 102 )، شتاء 2018، ص330،

Muhammad Shoaib, Desecration of the Early Paradise: An Ecocritical Reading of Mirza Warheed's Novel (The Book of Gold Leaves), Journal of Research ( Humanities) , pp 80

<sup>3</sup> انظر، جميل حمداوي ، نظريات النقد الأدبي والبلاغة في مرحلة ما بعد الحداثة ( مرجع إلكتروني ) ( [www.alukah.net](http://www.alukah.net) ) ، ص

296 ، 297 ، أبو الفضل بدران ، أهمية النقد الأدبي البيئي في الدراسات النقدية ، المؤتمر الدولي الرابع للغة العربية ، دبي ،

192 ، ص 195 ، 196، جيليك توشيتش ، النقد البيئي ، ص 328

<sup>4</sup> Cheryl Glofelty , What is Ecocriticism , Definding Ecocriticism of Theory and Practice , Sixteen Position Papers From The 1994 Western Literature Association Meeting , Salt Lake City , Utah , 6 October , 1994 , pp 100

<sup>5</sup> انظر، لورنس بيل ، أرسولا ك هيس ، كارين ثورنبر ، الأدب والبيئة ، ترجمة معزز سلامة ، فصول ، النقد الأدبي وتداخل الاختصاصات ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، المجلد ( 2/26 ) ، العدد ( 102 )، شتاء 2018 ، ص 336 ، 338

<sup>6</sup> Sandip Kumar Mishra , Ecocriticism :A Study of Environmental Issues in Literature , BRICS journal of Educational Research . October – December 2016 , Vol -6 , Issue – 4 , pp 168

<sup>7</sup> حول بدايات النقد البيئي وانتشاره ، انظر، جميل حمداوي ، نظريات النقد الأدبي والبلاغة في مرحلة ما بعد الحداثة ، ص 298 ، 299 ، جيليك توشيتش ، النقد البيئي ، ص 328 ، 329 ،

Mohammad Shoaib , Desecration of the Earthly Practice , pp 80 , Laurence Buell , Literature and Environment , pp 418

<sup>8</sup> Dana Phillips , Ecocriticism , Literary Theory , and the Truth of Ecology , New Literary History .Vol . 30 , No . 3 . Ecocriticism ( Summer 1991 ) pp 577-602, The Johns Hopkins University Press , pp 583

<sup>9</sup> Dana Phillips , Ecocriticism , pp 578, 582 , Stephanie Sarver , What is Ecocriticism , Definding Ecocriticism of Theory and Practice , Sixteen Position Papers From the 1994 Western Literature , Association Meeting , Salt Lake City , Utah , October 1994

<sup>10</sup> حول هذه الترابطات انظر، كارين ج. وارين، مدخل إلى النسوية الأيكولوجية، [maaber.50megs.comwww](http://maaber.50megs.comwww)، تاريخ الدخول (الثلاثاء 2020/11/3) إيمان مطر السلطاني، زياد طارق العلي،



<sup>49</sup> المصدر السابق ، ص 364 ، وانظر أمثلة أخرى ، ص 345 ،  
388 ، 389 ، 415 ، وانظر أيضا إدانة يوسف لما يحدث في مكة  
واستنكاره له ، وكأن التعدي على مكة هو تعدد على تاريخها وعلى  
الوحي الذي نزل فيها ، لتفقد البركة التي أحاطت بها جراء ما فعله  
البشر، ص 102  
<sup>50</sup> المصدر السابق ، ص 324 ، وانظر كيف تتحد مكة بأرضها  
وينابيعها وحقولها والمرأة في امرأة كونية تجتمع كل عناصر  
الطبيعة وأشكال الحياة فيها ، ص 447  
<sup>51</sup> انظر، المصدر السابق، ص 214 ، 215 ، ولعل مفتاح الكعبة  
الذي سرق واختفى يمثل رمزيا سرقة وجه مكة وملاحمها ، انظر  
ص 228  
<sup>52</sup> انظر، لورنس مل، أورسولا ك. هيس، كارين ثورنبر، الأدب  
والبيئة، ص 345  
<sup>53</sup> رجاء عالم ، طوق الحمام، ص 535  
<sup>54</sup> المصدر السابق، ص 538 ، ويقول تيس الأغوات أيضا : حين  
تولد البنثن يجبسونها في قالب مانيكان ، انظر ص 538  
<sup>55</sup> انظر، المصدر السابق، ص 557 ، 559

### المصادر والمراجع:

#### المصادر:

- 1- رجاء عالم، طوق الحمام، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط (1)، 2010
- المراجع العربية:
  - 1- أبو الفضل بدران، أهمية النقد الأدبي البيئي في الدراسات النقدية، المؤتمر الدولي الرابع للغة العربية ، دبي ، 192
  - 2- إيمان مطر السلطاني ، زياد طارق العلي ، رواء جليل الجنابي ، نسق النسوية البيئية في رواية حديقة حياة للطيفة الدليحي:  
Route Educatonal & Social Science Journal , vol 6 (2), January 2019
  - 3- جميل حمداوي ، نظريات النقد الأدبي والبلاغة في مرحلة ما بعد الحداثة (مرجع إلكتروني):  
([www.alukah.net](http://www.alukah.net))
  - 4- جيليك توشيتش ، النقد البيئي " دراسة بينية في الأدب والبيئة " ، ترجمة سناء عبد العزيز ، فصول ، النقد

- 22 انظر، كارين ج . وارين ، مدخل إلى النسوية الإيكولوجية
- 23 رجاء عالم ، طوق الحمام ، ص 54 ، 55 وانظر أيضا صورة أخرى في مذكرات يوسف للمرأة الأم / التي لا تموت وترضع كل البشر، ص 102 ، 103
- 24 انظر، المصدر السابق ، ص 158-161
- 25 انظر، المصدر السابق ، ص 162 ، 163 ، 170 ، وانظر أيضا وصف عائشة لجسد المرأة بأنه شافط للكون بينما لا يزيد جسد الرجل عن كونه مجرد قاذف ، ص 185
- 26 المصدر السابق ، ص 17
- 27 رجاء عالم ، طوق الحمام ، ص 65
- 28 المصدر السابق ، ص 20
- 29 حول هذا الربط بين عزة وعائشة والحمام انظر ، المصدر السابق ، ص 13 ، 20 ، 31 ، 69 ، 135 ، 170 ، 284 ، 300
- 30 المصدر السابق، ص 284
- 31 المصدر السابق، ص 540 ، 541
- 32 المصدر السابق، ص 302
- 33 المصدر السابق، ص 173 ، 174
- 34 المصدر السابق، ص 30
- 35 انظر، رجاء عالم ، طوق الحمام ، ص 34 ، 37-39
- 36 المصدر السابق، ص 557
- 37 المصدر السابق، ص 172 ، 173
- 38 Sandip Kumar Mishra , Ecocriticism , pp 168
- 39 جيليك توشيتش، النقد البيئي "دراسة في الأدب والبيئة"، ص 331
- 40 رجاء عالم، طوق الحمام، ص 5
- 41 المصدر السابق، ص 420
- 42 المصدر السابق، ص 28
- 43 رجاء عالم، طوق الحمام، ص 7
- 44 المصدر السابق، ص 63
- 45 المصدر السابق، ص 65، وانظر أيضا كيف تخاطب مخلقات البيوت إحدى شخصيات الروية وتصرف البشر بأنهم "زبالة" ، ص 252
- 46 المصدر السابق ، ص 141 وانظر أيضا ما حصل من تغيرات في بيت اللبابيدي الذي يمثل أيضا أحد وجوه مكة القديمة وذاكرتها لا سيما من خلال الصور التي احتفظ بها أصحابه ، ص 154 ، 155
- 47 انظر، المصدر السابق ، ص 158 ، 159
- 48 رجاء عالم ، طوق الحمام ، ص 341

الأدبي وتداخل الاختصاصات ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، مجلد ( 2/26 ) ، العدد ( 102 ) ، شتاء 2018  
-5 كارين ج. وارين، مدخل إلى النسوية الأيكولوجية:  
www.maaber.50megs.com  
-6 لورنس بيل ، أورشولا ك هيس ، كارين ثورنبر ،  
الأدب والبيئة ، ترجمة معتر سلامة ، فصول ، النقد الأدبي  
وتداخل الاختصاصات ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،  
القاهرة ، المجلد ( 2/26 ) ، العدد ( 102 ) ، شتاء 2018  
المراجع الأجنبية :

- 1- Cheryl Glofelty , What is Ecocriticism , Definding Ecocriticism of Theory and Practice , Sixteen Position Papers From The 1994 Western Literature Association Meeting , Salt Lake City , Utah , 6 October , 1994
- 2- Dana Phillips , Ecocriticism , Literary Theory , and the Truth of Ecology , New Literary History .Vol . 30 , No . 3 . Ecocriticism ( Summer 1991 ) pp 577-602, The Johns Hopkins University Press
- 3- Greta Gaard , Strategies for a Cross – Cultural of Ecofeminist Literary Criticism, University of Wisconsin –River falls , 2010
- 4- Lawrence Buell ,Ursula K .Heise , and Karen Thornber , Literature and Environment , Annu , Rev . Environ .Resour ,2011,36417-40
- 5- - Marijke Colle, Feminism and ecology : the same struggle ? The shaping of ecofeminism.Cadtm . org , 13May 2019
- 6- Muhammad Shoaib , Desecration of the Early Paradise : An Ecocritical Reading of Mirza Warheed's Novel ( The Book of Gold Leaves ), Journal of Research ( Humanities)
- 7- Sandip Kumar Mishra , Ecocriticism :A Study of Environmental Issues in Literature , BRICS journal of Educational Research . October – December 2016 , Vol -6 , Issue – 4
- 8- Serpil Opperman , Feminist Ecocriticism .The New Ecofeminist Setlment , Feminism o/s 22 , December , 2013
- 9- , Stephanie Sarver , What is Ecocriticism , Definding Ecocriticism of Theory and Practice , Sixteen Position Papers From the 1994 Western Literature , Association Meeting , Salt Lake City , Utah , October 1994